وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

سلسلة تبسيط العلوم والمستقبل

الكَوْكَبُ الوَرْدِىُّ

بقلم
د . محمد ماهر قابيل
رسوم
أ . مدحت عبد السميع

الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

الكوكب الوردي

اسـم المؤلـف : د. محمد ماهر قابيل
رسـوم : أ . مدحت عبد السميع
الناشـر : الهيئة العامة للاستعلامات
تاريـخ النشـر : ٢٠٠٥م
رقـم الإيـداع : ٧٦٥٤ / ٢٠٠٥م في ٤ / ٤ / ٢٠٠٥م
الترقيم الدولـي : 977- 234-065-8
المشرف العام والإخراج : د. اسماعيل عبد الفتاح
مراجعة لغوية وتشكيل : أ. أحمد عبد البديع غريب
كتابـة كمبيوتـر : أ.علـى أحمـد محمـد
الإشـراف الطباعـى : م / مجاهد عبد العظيم

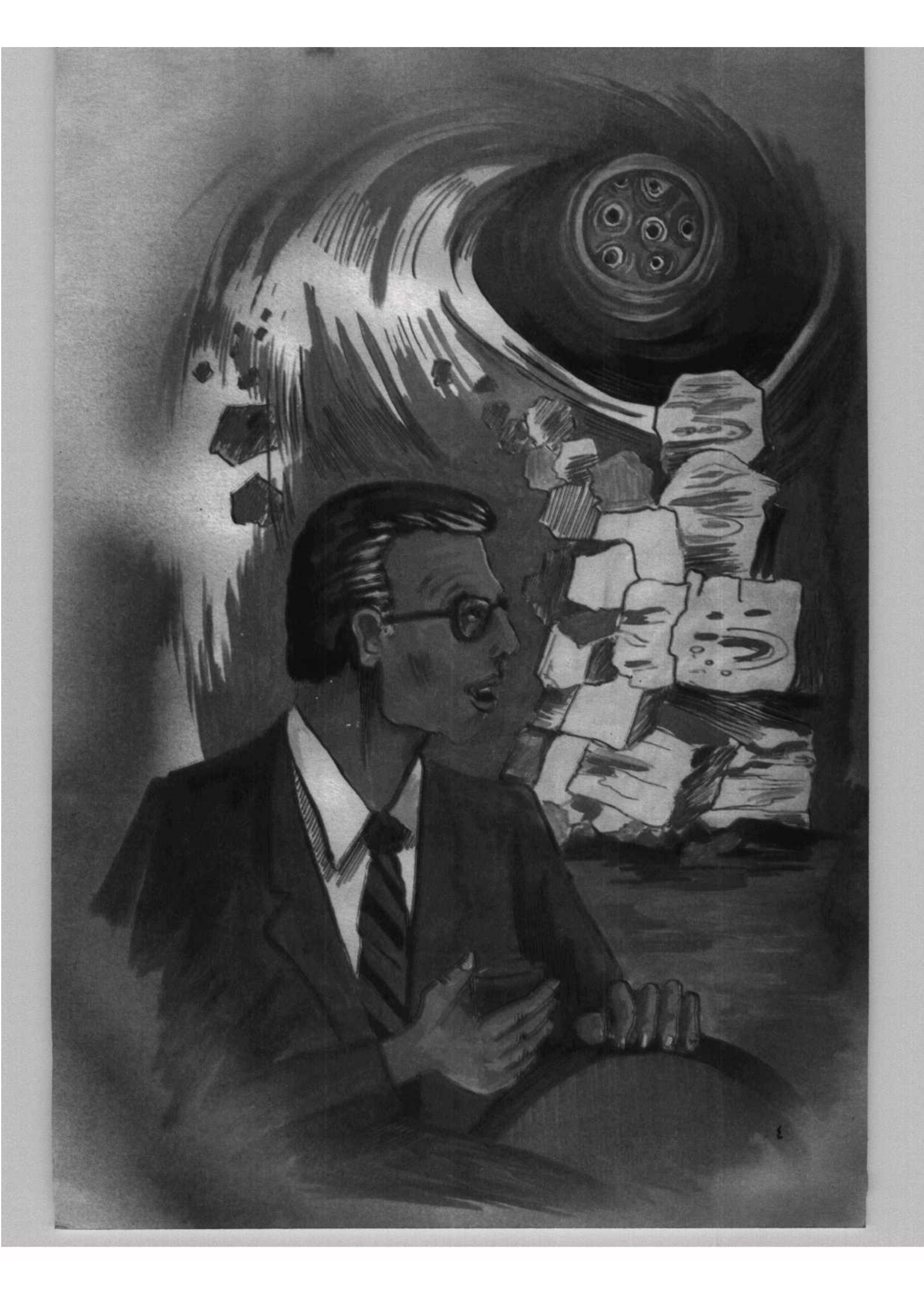
الكوكبُ الورديُّ

كَانُوا أربعةً من العُلماء المهْتَمينَ بغَزو الفَضَاء جَمعَهُم الحديثُ حَولَ شَاى المسَاء فى استراحتهم الخَاصة بمركَز بحُوث الفَضَاء الذى يقعُ جنوبَ الصَّحَراء الغَربية . وكَانَ الكَوْكَبُ الورديُّ هو محورُ مُنَاقَشَتهم . كَانُوا يجلسُونَ فى شُرفَة وَاسعَة بلا سَقف . تَعلُوهَا سَماءٌ صافيةٌ تزيِّنهَا نُجُومٌ قَليلةٌ متألقةٌ تبدُو كأنَّهَا تطلُ منْ بَعيد عَلَى تلكَ المخْلُوقَات البشَرية الغَريبة التى لا تقنعُ بكَوكَبهَا الأرضى . وتتطلعُ إلى الكَون المحيط بهَا فى شغف وطُمُوح بَالغَين . وكَانَ الشَّاىُ السَّاخنُ قَدْ أوشكَ أن يبردَ تَمَاماً إذ نَسيَهُ الجَميعُ عندمَا قَالَ الدكتورُ أسَامةُ الهَوَّارى مديرُ المركز ورئيسُ تحرير مجلته الفَصليَّة باهتمام واضح جَذَبَ انتباهَ زُملائه الثَّلاثة :

- هُنَاكَ سُؤَالٌ يحيِّرنى ولا أستطيعُ أن أجَدَ لهُ إجابةً حاسمةً : ما هُو مصدرُ الحجارة التى بَنَى بهَا المصريونَ القدماءُ أهراماتهم الشَّامخَة المتعددةَ ؟

للوهلَة الأُولَى سَادَ شعورٌ ببعد السُّؤال المطروح عَنْ مجال تَخصُّصهم . فَلَمْ تعرفْ عَنْ أحدهم من قَبل دراية بالموضُوعَات الأثرية . ولَمْ يكنْ من المتَصوّر أنْ يَطرأ تحولٌ مفاجئٌ عَلَى المسَار العَملى للدكتور أسامة بعد أن أتم السَّادسَةَ والأربعينَ من العُمر .

كَانَ الدكتورُ أسامةُ رَجُلاً وسيماً رقيقاً خَجُولاً . يختلطُ بياضُ شَعره بسَواده فى تناسق يُضْفى عَلَيه لونًا من الإحسَاس النَبيل بالأسَى لفعل الزمن حينَ يفرضُ إرادتَه الخَالدةَ التى لا تُقهَر . وكَانَ مَعْنياً بأناقَته فى غَير تكلُّف . وقَدْ استَغنَى عَنْ منظَاره الطِّبى السَّميك باستعمال العَدَسَات اللاصقَة ثمَّ ضَاقَ بهَا فتخلصَ منهَا وعَادَ إلى المنظَار .



كَانَ قد تَخرَّجَ فى كُلية العُلُوم ، ثُمَّ نَالَ منهَا الدُّكتُوراه قَبْلَ أن يُعيَّنَ مُديراً لمركز البُحُوث . وكَانَ مَشْهُوراً بنبوغه المبكر ، وأخْلاقه الكَريمة . وكَانَ تفكيرُهُ دقيقاً منظماً مما أثَارَ الدَّهشَةَ لسؤاله الغَامض فقَال الدكتورُ حَمَادةُ أبو نَار الأمينُ العَامُ لمجلس خُبراء المركز :

- ومَا هى العلاقةُ بينَ حجَارة الأهْرامات وبيْن بُحوثنَا الفَضَائية يا دُكتُور ؟

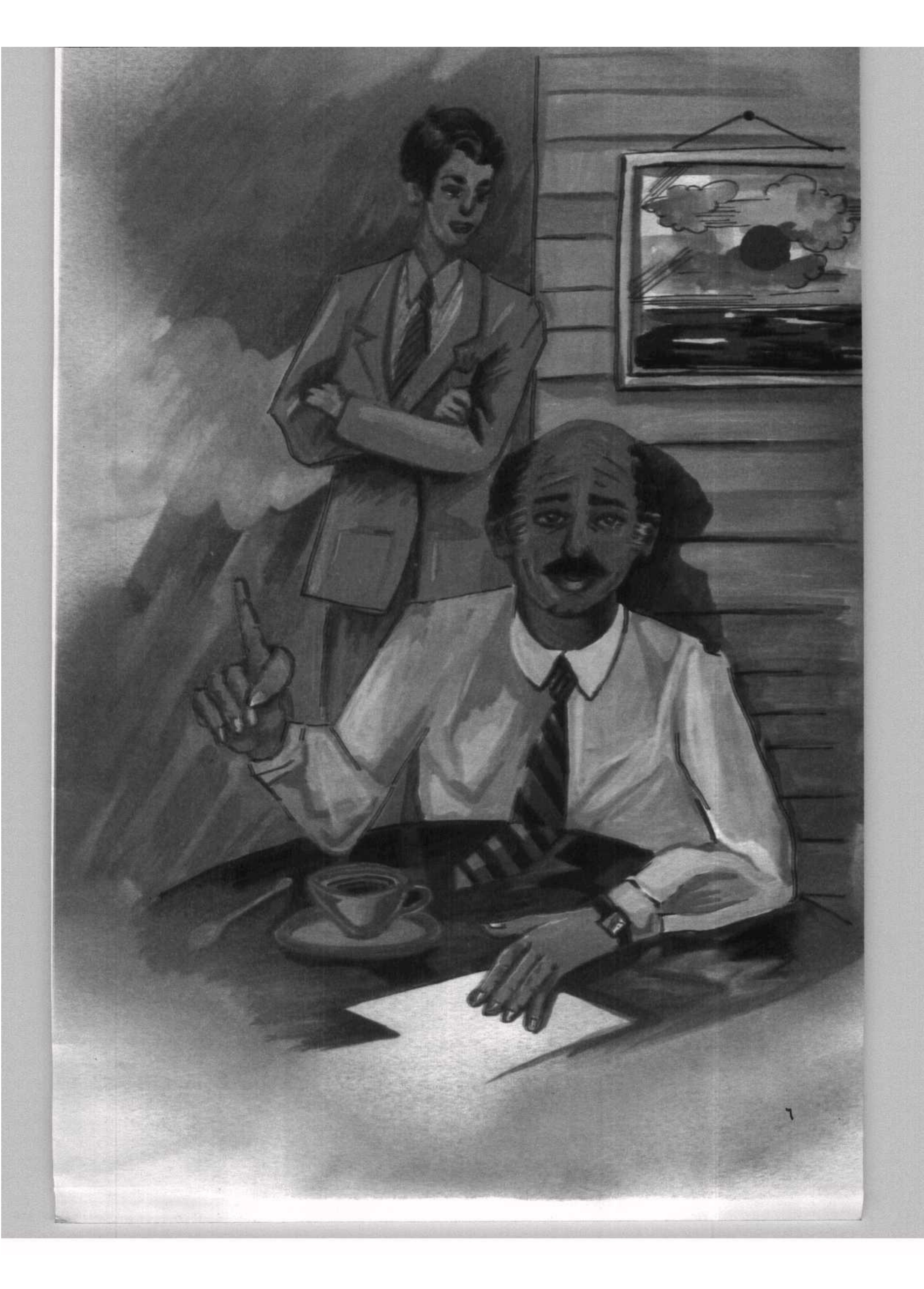
لم تكن فى هَذَا الاستفسَار الجانبى شُبهةُ إسَاءة إلى الدُّكتور أُسَامة . فَقَدْ كَانَ الدكتورُ حمادةُ أستاذاً حادَّ الذكاء إلى دَرجَة العبقرية . وكَانَ حَازماً صَارماً قَوىَّ الشَّخصيةَ لا يسخر من أحد ، ولا يَخْلط جدَّهُ الدائم بالهَزل قَط . كَانَ مَحبُوباً لإخْلاصه ووفَائه ، وكَانَ موضعَ تقدير كَافة أصْدقَائه وزُملائه . وكَانَ غَزيرَ الإنتاج ، دؤوبَ الاطلاع ، مُترفِّعاً عن الصَّغَائر ، يحظَى بمواقع الصَّدارة فى المحافل العلمية . فَلَمْ يترددْ الدكتورُ أُسَامةُ فى الإجابة قَائلاً :

- هَلْ يحتملُ أن تكونَ تلك الحجارة من المريخ ؟

دوتْ القنبلةُ التى فجَّرهَا الدكتورُ أُسَامةُ فى السُّكُون الهَادىء الذى يسبقُ العَاصفَةَ . ومضتْ لحظاتُ الصَّمت الثقيل مُتَعَاقبةً فى ظُلمة الليل حتَّى قَطَعَهَا الدكتورُ أكثمُ الألفى بقَوله :

- الكَوكَبُ الورديُّ ؟

لَطَّفتْ الكلمةُ الأخيرةُ جوَّ الحوار المكثَّف . فَقَدْ كَانَ الدكتورُ أكثمُ أصغرُ أعضَاء المركز سناً . وكَانَ مَرحاً ودُوداً يحسنُ الدُّعابةَ ، وينتزعُ الضحكَ فى أحرج المواقف دون إسْفاف . وكَانتْ لَهُ فى ذَلكَ قدرةٌ نادرةٌ . فكَانَ ظَرفُهُ المهذَّبُ مبعثَ بَهجة فى كُلِّ مكان يَحلُّ به . كَانَ طويلَ القَامَة ، طَيِّبَ القَلب ، سمحَ الوَجه .



وكَانُوا يعتبرُونه بمثَابة صمَام الآمَانِ فِى أيةِ أزمةٍ . فعقَّبَ الدكتورُ كاملُ الخولى مستشارُ المركَزِ قَائلاً :

- إن العظمةَ الفريدةَ التى اتّصفَ بهَا بنَاء الأهرامات ، والتى جَعَلتهَا من عَجَائبِ الدنيَا هى الدافعُ الحقيقى وراءَ مختَلف المقُولات الشّائعة فى هَذَا الصدد . فالأهراماتُ كانتْ منذُ إقَامتهَا مادةً لخيَال الشُّعراء . وقد سَمعَنَا عَنْ تسخير النَّاس فى تَشْييدهَا ، لكننا لم نتوقعْ أن يصلَ الشَّطَطَ فى تَفْسير تلكَ المنجزات الضخمَة إلى إلحاقهَا بكَائنات فضائية أَتتْ بالحجَارة ، وتولّتْ البناءَ . أظنهَا مبالغةً خُرافيةً لا يَلَيْق بنا مُجرَّدُ ترديدهَا . قَالَ الدكتورُ حمادةُ بصوت رَصين :

- ولماذَا لا نَسعَى إلى حلٍّ منهجىٍّ للمسْألةِ ؟

رَدَّ الدكتورُ كاملُ متسَائلاً :

- كَيفَض يا دكتُور ؟

أَجَابَ الدكتورُ حمادةُ قائلاً :

- نبعثُ سفينةً فضائيةً إلى المريخِ .

قَالَ الدكتورُ أسامةُ بسعادة :

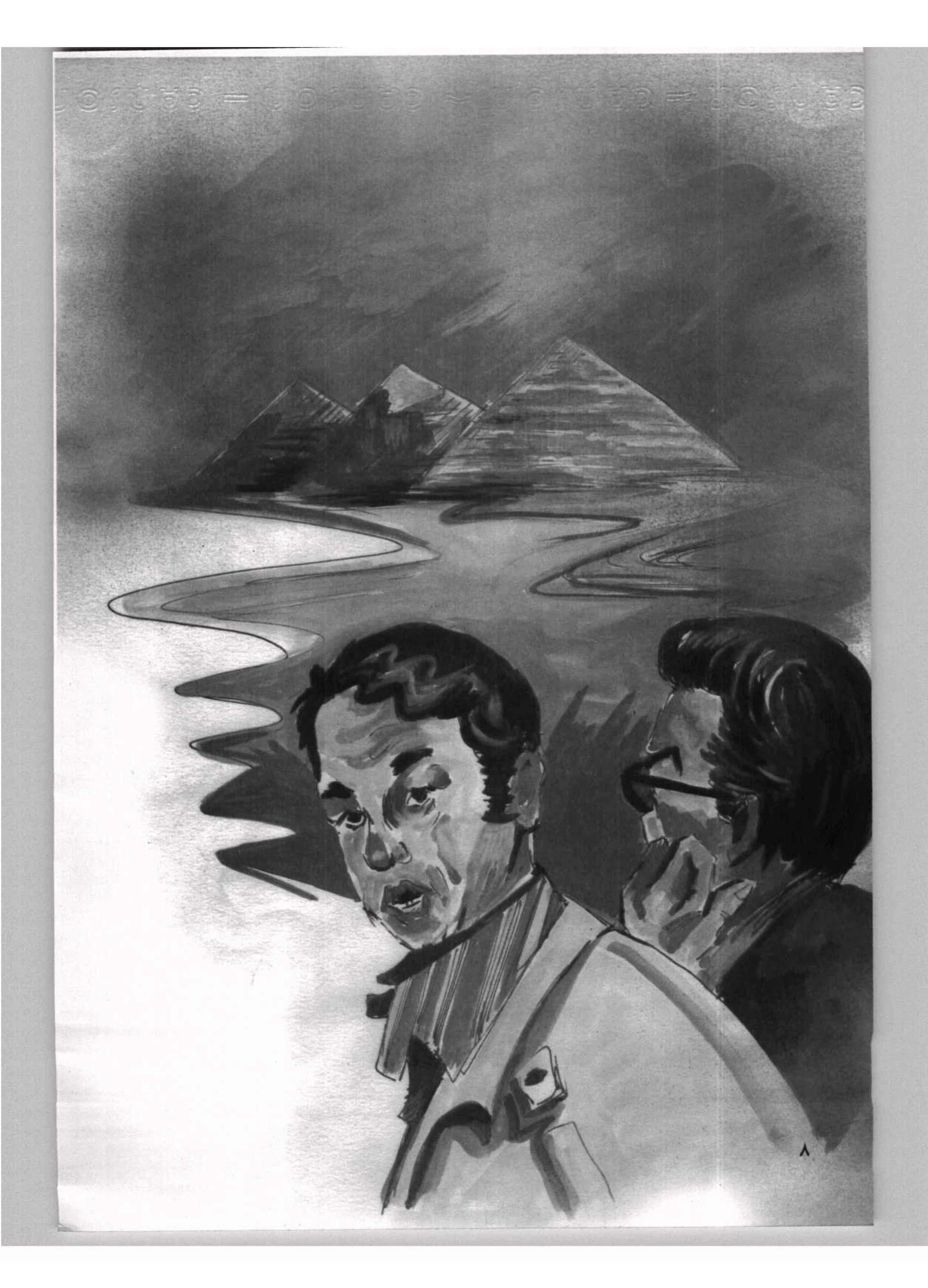
- إننا نستطيعُ بالفعلِ أن نرسلَ مثل هَذه المركَبة لترصدَ الظّواهرَ الطبيعيةَ عَلَى الكَوكَبِ الوردىِّ . وبتحليلِ كُلِّ ظاهرة يمكننا إرجَاعهَا إلى متغيراتهَا فتتبينُ لنا النتائجُ التى تجيبُ عَلَى أسئلتنَا .

قَالَ الدكتورُ أكثمُ فى قَلقٍ :

- كَمْ سنَة نَحتاجُهَا للقيام بهذه الرحلة ؟

أَشَارَ الدكتورُ أسامةُ بيده إشارةً تقديريةً وهو يقولُ :

- لَيسَ أقل مِن سَنتين .



تحفَّظَ الدكتورُ حمادةُ قَائلاً :

- هَذَا حسَابٌ سَابقٌ لأوانه .

قَالَ الدكتورُ كَامل متروياً :

- المهمُ فى بحث أية مشكلة أَنْ نبدأ بالنَّاحية الاقتصادية أولاً . لا أعتقدُ أن من الضَّرورى أن يقترنَ العَائدُ بالتكلفَة فى حَالتنا لكن العُنصُرَ المادى أسَاسىٌّ عَلَى كُلِّ حَال فى تلكَ المهمة .

سَألهُ الدكتورُ حمادةُ مُسْرعاً :

- مَاهُو مَدَى الميزَانية اللازمَة كحدٍّ أدْنَى ؟

أجَابَ الدكتورُ كَاملُ فى تُؤدة :

- ألفَ مليار من الدينَارات العربية .

عقَّبَ الدكتورُ أكثمُ منزعجاً بقَوله :

- يَا لَهُ من مَبلغ هَائل . هَلْ توافقُ حكومتُنا عَلَى تدبيره لَنَا ؟

قَالَ الدكتورُ حمادةُ بثقة ؟

- دعُوا هَذَا الأمرَ لى .

تَبادلَ الثَّلاثةُ الآخرونَ النظرات المعبرةَ . فقد كَانُوا يعرفونَ ما لصَاحبهم من نُفُوذ قوىٍّ وكلمة مَسمُوعة . وأدركَ الدكتورُ حَمَادةُ مَغْزَى هَذه النظَراتِ فاسْتطردَ قَائلاً :

- إن المسئولينَ يعلمُون أهمية مَا نجريه من بحوث بهَذَا الخصوص . لَقَدْ كَانَ الغربُ سَبَّاقًا فى الغَزو الفضائى . ولكننا كشَرقيين أحفَادُ روَّاد حَضَارات مُتقدمة . ولا يجبُ أن نتقاعسَ عَنْ مواكبة التطور فَلاَ مكان فى عَالمنَا المعَاصر للخَاملينَ المتخلِّفينَ .

سَرَى فى الجميع نَوعٌ من الحمَاس فَقَالَ الدكتورُ أكثمُ :

- يمكننا أن نحاولَ أيضاً الحصولَ عَلَى إجابات لتساؤلات أخرى تُشغلُنَا .

قَالَ الدكتورُ أسامةُ مُشجِّعاً :

- بالطَّبعِ هَذَا بديهىٌّ . لابُدَّ أن تكونَ لرحلتنَا منظُومَة متكاملَة من الأهداف . وسَوفَ نستعملُ حَاسبَاتنا الآليةَ فى كُلِّ خطوة . لدينا عَلَى سبيل المثَال سُؤالٌ متعلقٌ بإمكانية وجُود حَياة فَوقَ المريخِ . وإذا كَانتْ الإجابةُ عَلَى هَذا السُّؤالِ بنعمٍ فمتَى وُجدتْ تلكَ الحيَاة ؟ وكَمْ استمرتْ ؟

أضَافَ الدكتورُ كاملُ :

- وهَلْ كانتْ حياةً عاقلةً ؟ أم حياةً أوليةً بدائيةً ؟ وإن كانتْ الأولى - وهو مَا أستبعدُه فى رأيى - فَمَا هُو الجنسُ الذى تنتمى إليه هَذه الحياةُ ؟ وإلى أى درجة أرتَقى ؟ وهل يمكنُ أن يكونَ ارتقاؤه فائقاً لما حقَّقَهُ الجنسُ البشرىُّ عَلَى الأرضِ ؟ وكيفَ اندثرتْ الحضارةُ المريخيةُ المزعومةُ ؟



كانتْ الأسئلةُ تتوالَى كالقذائفِ من فَمه .

فَقَالَ الدكتورُ حمادةُ :

- ربما كَانَ الأولَى بنا أن نهيىءَ لأنفُسنَا فرصَ العيشِ لفترات ممتدة عَلَى المريخِ مَهمَا كانتْ المشقةُ . سوف تكونُ النفقاتُ باهظةً ، ولكن الثمرةُ لنْ تُكَوِّنَ المجدَ وَحْدَهُ .

قَالَ الدكتورُ أكثمُ مَازحاً :

- لاَ أظننا نملكُ ضمَّه إلى



الولايات المتحدة العربية بحقِّ الاستيلاء .

ابتسَمَ الدكتورُ أُسامةُ وهو يقولُ :

- يتعينُ علينا الرجوعُ فى ذَلكَ إلى جَامعةِ الدولِ العربيةِ .

وَسكَتْ لحظةً ثم اسْتطرَدَ قَائلاً :

- ولكن فى أىِّ عهدٍ من عُهودِها كانتْ أهْلاً لحروبِ الكَواكبِ ؟

قَالَ الدكتورُ حمادةُ وهو يحدقُ فى السَّماءِ كمن يُنَاجى الكَوكَبَ الوردىَّ :

- هل نستطيعُ أن نعللَ التبايُنَ بين الأرضِ وبينَ المريخِ فى إطَارِ العَواملِ المشتركةِ بينهما مثل انتمائهما إلى مجموعةٍ معينةٍ ، وانحدارهما من ذَاتِ المنبعِ ؟

اسْتَحسَنَ الدكتورُ كاملُ السُّؤالَ فعلّقَ بقوله :

- هذا استفسارٌ رائعٌ .. حقاً .. لابد لذلك من تفسيرٍ منطقىٍّ .

قَال الدكتورُ أكثمُ بصوت مُنخفضٍ :

- لا تَنسَ أن المنطقَ يخدعُ أحياناً فلا تَستَسْلمْ لَهُ كُلَّ الاسْتسْلامِ . إن العِلْمَ الإنسَانىَّ سيظلُ قليلاً قَاصراً مهما حَدثَ . لن نتمكنَ مِن الإجابةِ عَلَى أسئلةٍ كَثيرةٍ إجَابةٍ نهائيةٍ .

ولعَلَّ أصعَب هذه الأسئلة هُو السُّؤالُ المتعلقُ بحُدود الكَون . كيف يمكنُ أن يكونَ الكونُ بلا حُدود ؟ إننا لا نستطيعُ تخيلَ ذَلكَ . ..
كيف يمكنُ أن يكونَ محدوداً ؟ إننا لا نستطيعُ أيضاً تخيل ذلك . لابد لأى حدٍّ مما وراءه . فكيف يكونُ الامتدادُ لا نهائياً ؟

كَانتْ كلماتُ الدكتُور أكثم بمثَابَة الخَاتمة فَلَمْ يعقب عَلَيهَا أحدٌ . كَانَ الليلُ قَدْ انتصفَ فى تلك البُقعة النائية . وكانَ التعبُ ظاهراً عَلَى وجوه الرجالِ الأربعة ، وَكَان النسيمُ يهبُّ متثاقلاً كأنه أمسَى مُتعباً بدوره مثلهم فأوَى كُلٌّ منهم إلَى فراشه .

* * *

لم يُقدَّرْ للدكتور أكثم أنْ يحتفلَ بزفَافه الاحتفَال التقليدى الذى جَرَى عَلَيه العُرفُ فقد كانتْ عروسُه الآنسةُ صَفيةُ البرَّاوى رائدةَ فضاء مَرموقةً قَامتْ قَبل زواجهَا لرحلتين إحْداهُما دارت فيهَا حَولَ الأرضِ ، والأُخرَى هبطتْ فيهَا عَلَى القَمَر .
وعندمَا اختارَهَا الدكتورُ حمَادةُ مرافقةً للدكتور أكثم فى سَفَره إلى المريخ كَانَ اختياراً موفقاً إلى أبعد حدٍّ . إذ كَانَا متفقين بالفعلِ عَلَى الزواجِ.
وكَانَ من الطَّريف أن يَقْضىَ العروسَان شَهرَ العَسَلِ فى الطريقِ الفَضَائى إلى الكَوكَب الوردىِّ .

كَانتْ صفيةُ فتاةً رياضيةً رشيقةً جميلةً ، وكان حبُّها لأكثم طَاهراً سَامياً . فرأتْ فى صُحبته تلك مغامرةً ممتعةً ، ورحَّبتْ بكلِّ تعليمات الدكتور حمَادة عَلَى الفور فى سَعَادة غَامرة .
وواكَبَ عقدُ القَران بدايةَ العدِّ التنازلى لإطلاقِ سَفينة الفَضَاء التى صعدتْ بالعَروسين من القَاعدة .



كانت النظمُ الداخليةُ للسَّفينة معدةً للتشغيل . وكَانَ الجوُّ ملائماً . لكن الرهبةَ سيطرتْ عَلَى الرَّائدينْ الشَّابين . كشُعُور طبيعىٍّ فى الموقف بالرغم من كُلِّ الاحتياطات والضَّمَانَات .



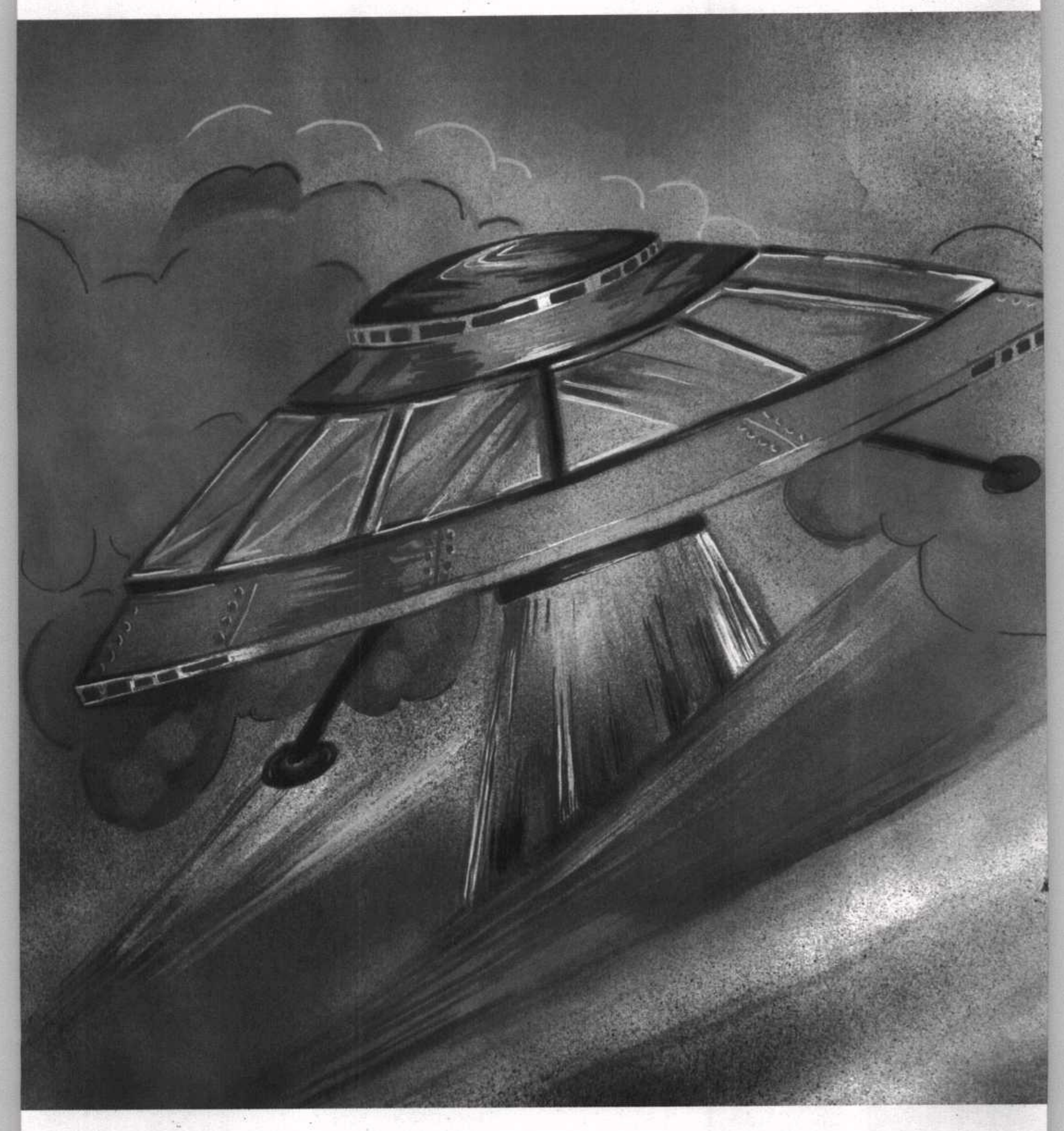
وحينمَا ارتَديا مَلابسَهمَا المجهَّزة ، واصطفَّ أكابرُ القَوم فِى ودَاعهما ، بَدا التأثرُ غالباً عَلَى الجميعِ . ولَمحتْ صفيةُ الدموعَ تطفرُ من عَينى الدكتُور أُسَامة الهوَّارى .

وانطلقتْ السفينةُ بسرعة متزايدة مُخترقَة طبقات الغلافِ الهَوائىِّ ، وتَعرَّضتْ فى ارتفاعهَا لمعوّقَات آلية بسيطة لم توقفْهَا ...

وكانَ الملاحَان بَارعين فِى أدائهما نَتيجَة التَّدريبِ والخبرة معًا ...

وفى أولِ أوقاتِ الفَراغِ حَاولَ أكثمُ أن يُغنِّى لعروسه أغنيةً خفيفةً يقولُ فيهَا :

هَا أنتِ أيتهَا الحبيبةُ
فِى الغيبِ مبحرةٌ غريبةٌ
يصفُو لكِ الآن المكانُ
وتُصافحينَ يدُ الزمانِ
فى كلِّ مبهرة عَجيبة



هَا أنتِ حوراُء الفَضَاءِ

وستصعدينَ إلى السَّماءِ

حتَّى يضىءَ بكِ الضِّياءُ

وتُنيرُ عيناكِ السَّماءَ

فى مَوعدِ الأرضِ القريبةِ

* * *

ها أنتِ أغنيةُ الخلودِ

أشدُو بهَا حتَّى نعُودَ

فتكُون بهَا حتَّى نعُودَ

فتكونُ لى سرَّ الوجُودِ

وتَطيرُ لى فوقَ الحدودِ

فى عِطر شَاعرة أديبة

* * *

ها أنت لى سحرُ الرَّجاءِ

وحروفُ تَاريخِ الوفَاءِ

زهرٌ وأشجارٌ وماءٌ

يختالُ فى كَأسِ النقاءِ

فَأَراه بستان اللقَاءِ

لكن صفيةَ لم تطربْ للغناءِ كثيراً ... فقد كَانتْ تحسُّ بدقاتِ قَلبِهَا تتلاحقُ كناقوسٍ فى يدِ مجنون .

كانت معدلاتُ الكَثَافةِ تتغيرُ ... ولم يكنْ ثمة مَا يدفعُ إلى الاسْتبشَارِ .

وكانتْ الوحشةُ تقصي الرجاء فيدبُّ المللُ فى النَّفسِ حتَّى تصيرُ عَلَى حَافةِ اليأسِ ....

وبعد وَقْتٍ قصيرٍ قَالتْ صفيةُ لأكثم :

- سوفَ تواجه طاقةُ احتمَالنَا امْتَحَانًا عسيراً

قَال أكثمُ مهوِّناً :

- إنها ليستْ أولَ مرةٍ

طوقتهُ صفيةُ بنظرةٍ حنانٍ متدفقٍ وهى تقولُ :

- بخروجنَا من الجاذبية يتلاشَى ثقلُنا فنُعَانى المتاعبَ الجسديةَ إذ يسْرِى فى أعضَائنا الوهنُ حتَّى يصلَ إلى العَظمِ .

ابتسمَ أكثمَ قَائلاً :

- ستفيدُنا المقَويات التى جئنا بهَا . لا تَخَافى الشيخوخةَ المبكرةَ .

قالتْ صفيةُ محذرةً :

- بل أخشَى الإشعاعُ الضَّارَ .

ردَّ أكثمُ ملاطفاً بقَوله :

- لَقَدْ جهَّزوا لنا العلاجَ المناسبَ .

ثم استطردَ بلهجةٍ لا مباليةٍ :

- لا بأسَ . إذا فقدنا القُدرةَ مؤقتاً عَلَى السيرِ فهذا يذكِّرنا طُفولَتنَا . وأظنُ أننا سنستعيدُ تلكَ القُدرة فِى المستشفَى .

همستْ صفيةُ بنبرةٍ أسَى :

- التفاؤلُ واجبٌ عَلَى كُلِّ حالٍ .

قَالَ أكثمُ بصوت عَالٍ :

- التفاؤلُ .. التفاؤلُ .. أى معنًى للكلمةِ إن لم نعشهَا ؟

قَالتْ صفيةُ باعتزاز :

- ولِمَ لا ؟ ما أروعَ أن نقفَ علَى الكوكبِ الوردىِّ بحرارتِه المنخفضةِ .

أكملَ أكثمُ قائلاً :

- ومنَاخه المضطربِ .

أردفتْ صفيةُ :

- ووديانه الخاليةِ

أضَافَ أكثمُ :

- وبراكينه النّائمةِ

قالتْ صفيةُ :

- أرجُو ألا تثورَ علينا

قَال أكثمُ بطريقةٍ مسرحيةٍ :

- بوسعنا أن نخمدَ تلكَ الثورةَ إن قامتْ

ضَحكتْ صفيةُ قَائلةً :

- يا لكَ من طَاغيةٍ : يبدأُ عهدك فِى المريخِ بالقَمْعِ والقَهرِ .

شَاطرها أكثمُ الضحكَ بقَوله :

- ومَنْ يدرِى ؟ قد تتلقَى براكينُ المريخِ فى ثَورتِهَا برقيةَ تأييدٍ من براكين الأرضِ .

قَالتْ صفيةُ :

- وسيضعَكَ ذلك موضعَ المسئوليةِ أمَامَ رؤسائك .

قَال أكثمُ :

- وربما ينسونَ حُجَارةَ الأهراماتِ ، ويركِّزون عَلَى الفكرِ السِّياسىِّ فِى مصرَ القديمةِ .



قَالتْ صفيةُ :

- آه .. الصداعُ يطرقُ رأسِى

صَاحَ أكثمُ :

- تمَاسكِى يا صفيةُ . ينبغِى أن نبذلَ جهودنَا حتَّى لاَ يفلتُ منا الزمامُ . خُذى هذه الحبةَ .

ابتلعتْ صفيةُ الحبةَ لكن الصُّداعَ ظلَّ كمَا كَانَ .

* * *

كَان أكثمُ يغفُو ثم يستيقظُ ...

وكانتْ صفيةُ عَلَى وشَكِ الإغمَاءِ حينمَا قَطعتْ المركبةُ ثلث المسَافَةِ من الأرضِ إلى المريخِ ...

وتعطَّل جهازُ قِيَاسِ الضَّغْط فانزعجَ أكثمُ بشدة وأجرَى اتصالاً بالقَاعدة لابلاغها بالموقف الطَّارىءِ وتَلقَّى تَعليمَاتَها حتَّى لا يعرقلُ العُطَلُ المفاجىءُ مسَارَ الرحلة ...

وبعد سَاعات عَصيبة تمكَّنَ الرائدُ الماهرُ من السَّيطرة على الجهاز ... وإعَادة تشغيله إلا أن المحنَةَ أرهقته فاستراحَ قَليلاً ريثما يسْتعادَ حيويته إلى حدٍّ ما ... ثُمَّ قَالَ لصفية :

- هل يضايقُكِ النظامُ الصارمُ الذى نتبعُه مرغمينَ للتغذية ؟

أجابتْ صفيةُ فيما يشبه التَّثاؤب :

- لَيسَ بالضبطِ لكنني لا أتعذبُ بالجوعِ عَلَى أى حالٍ .

عَاد أكثمُ يسألُ :

- هل يُزعجُكِ الغيابُ الطويلُ عَنْ الأهلِ ؟

ردَّتْ صفيةُ بروحٍ قَدرية :



- لَقَدْ وهبنى أهلى للعلمِ إلى الأبدِ

قَالَ أكثمُ متوجساً :

- ما الذى يقلقُك إذن بصفة أسَاسية ؟

حَدقتْ صفيةُ فى شَاشة أمامَها وهى تقل :

- إن سفرنا يستغرقُ سنةً تقريباً فى الذهابِ وحده

وسكتَتْ دقيقةً ثم استمرتْ قائلةً :

- سَنقتربُ من محطةِ الوصُولِ عقب اجتيازِ أكثر من ٧٢٥ مليون كيلو متر . كأنه حلمٌ أسطوريٌّ .

قَال أكثمُ بانفعالٍ :

- وبمجرَّد هبوطنا عَلَى المريخِ تبدأُ مهمتُنا الرئيسيةُ فوراً فنبعثُ إلى مَركَزنا لَقطاتٍ وبَياناتٍ كُليةٍ وجُزئيةٍ دَقيقةٍ مُفيدةٍ .

قَالتْ صفيةُ بصوتٍ متهدجٍ :

- لا سيَّمَا فيما يتعلقُ بالحجارةِ التى ينسبُون إليها الأهرامات المصرية عَلَى الرغمِ من عَدمِ ميلى إلى تَصديقِ تلكَ الخرافةِ .

سَألها أكثمُ :

- لماذا تُسمينها خُرافةً قبل أن نتحقَّقَ من صحتهَا ؟

ففى البحثِ العلمىِّ دائماً مانحتكمُ إلى الخبرةِ الواقعيةِ ونُنحِّى انطباعاتنَا ومعتقداتنَا جانباً .

احتجتْ صفيةُ قَائلةً :

- إنها ليستْ انطباعَاتى ومُعتقداتى . إنه التفكيرُ المنطقىُّ الذى قَادنى منهجيا إلى هَذه النتيجةِ .

قَال أكثمُ : ــ علينا أن نرصدَ الظواهرَ ، وعليهم أن يرجعُوهَا إلى



متغيرَاتهَا . سنمكثُ لهَذَا الغَرضِ سنةً من سَنوات المريخِ تكاد تُساوى عَامين أرضيين أو بالتحديد تُماثلُ ٦٧٨ يوماً أرضياً .

قَالتْ صفيةُ :

- سَأخلِّد أيامَ رحلَتنَا بكتابٍ يفوقُ كُلَّ ما كُتبَ فى أدبِ الرحلات ، وسوف أتقدمُ به لجائزة .

قَالَ أكثمُ مرحباً بالفكرة :

- عَلَى أن تعهَدِ به إلى ناشرٍ أمينٍ يرعَى حقُوقَك المادية .

* * *

اقتربتْ السفينةُ من المريخِ بسَلام ...

حتَّى استقرَّتْ عليه فى المنطقَة التى حدَّدها الخبراءُ المختصونَ ...

ونَزلَ الملاحَان ثم قَامَا متعَاونين بتثبيتِ الرايةِ وإعْدادِ أجهزةِ التصويرِ للعَمل ....

وبعد ثَلاثَة أيامٍ بدأ أكثمُ إرسَالَ الصورِ والمعلُوماتِ إلى الأرض ...

فتلقَّاهَا العلماءُ بالبحث ....

وأحدثتْ دوياً هائلاً فى أوسَاطهم ....

كَانتْ الحياةُ عَلَى المريخِ صعبةً مرهقةً احتملَهَا الشابان فى مُثابرة نادرة .

وكَانتْ صفيةُ تُقَاومُ الضعفَ بعزيمةِ المجاهدينَ عَلَى الرغمِ من تَسللِ المرضِ إلى جَسَدهَا ...

أما أكثمُ فكَانَ مكافحاً طلباً لا يفترُ ولا يكلُّ ....

فتمكَّنَ من دحضِ المزاعمِ التى تربطُ حجارةَ الأهرامَاتِ بالكَوكَبِ الوردىِّ الذى كَانَ مقفراً كئيباً ....

وعندما اشتدَّ الداءُ عَلَى صفية قَالتْ لزوجهَا :

- هل يشعرُ الإنسانُ بدنو أجله يا أكثم ؟

أفزع السؤالُ الزوجَ المحبَّ فَقَالَ :

- يَا إلهى . مَا الذى دَعَاكَ إلى التفكير فى ذلك يا صَفيَّة ؟

قَالت صفيةُ فى رضَا :

- أليسَ هو مَصيرنَا الحتمى ؟

أجَابَ أكثمُ برفقٍ :

- بعدَ عُمرٍ طَويلٍ إن شَاءَ الله .

هزَّتْ صفيةُ رأسَهَا قَائلةً :

- العُمرُ بيد الله . أنا مؤمنةٌ بقضَائه ...

ثم تنهدت وهي تقول بصوت واهن ضعيف :

- أصغ إلىّ يا أكثمُ :

إننى سَأموتُ هنا . ولَنْ تَتَمكَّن من العَودة بى إلى الأرضِ . ادفننى فى هَذَا الكوكَبِ ، وعجّل بالرجُوعِ . لَقَدْ كانتْ رحلَةٌ جميلةٌ ، وصحبةٌ أجمَل . اذكرنى يا أكثمُ .

ثم عادت تقول بصوت وداع ضعيف :

- عدنى سَتذكرنى . سجّل رحلتَنَا ، وخلّد حبَّنَا . لستُ آسفة عَلَى شَىءٍ . لَقَدْ كنتُ عَلَى استْعداد لفدائك برُوحى . أية قيمَة لوجُودنا إنْ لمْ نهبه لغَاية نبيلة ؟ آلله .. أكثمٌ .. أكثم .

كانتْ صفيةُ تنطقُ بصوتٍ خَافتٍ حتَّى سكتَتْ . ولم تفتحْ فَمَهَا بعد ذَلكَ أبداً .

* * *

اتَّصلَ أكثمُ بالقَاعدة... وهو لا يكادُ يتمَالك نفسَهُ ...



فَجَاءتهُ التعليماتُ بالعَودة فَوراً ....

لكنَّهُ تلكَّأ قَليلاً كأنَّما يعزُّ عليه أن يُفَارِقَ عروسَه التى وارَاهَا فى وحدةٍ قَاسية ....

لم تكنْ لديه زَهرةٌ يزرعُهَا عَلَى قَبرِ الفَتَاةِ الوفيَّةِ التى كَانَ اسمه آخرُ ما لَفظتْ شَفَتاهَا ....

وحَاولَ أن يقرأَ ما يحفظُ مِن القُرآنِ ملتمساً فيه السَّكينةَ والعزاءَ . وكَانَ يبكى كَطفْلٍ .

* * *

استُقْبِلَ أكثمُ فى بلاده استقبالَ الأبطالِ ....

وتقلَّدَ قلادةَ النيلِ فى حَفْلٍ كبيرٍ حَضَرهُ قادةُ دُولٍ تَقْديراً وإكْبَاراً للرائدِ العَظيم ....

وخُصِّص لإقَامَته مَغْنَى أنيق تُحيطُه حديقةٌ رائعةٌ ....

وحَصَلَ عَلَى مكافأةٍ ماليةٍ ضَخمةٍ ، وسَيَّارةٍ فَارهةٍ ، وشَهَادات تَكريمٍ لا حَصْرَ لَهَا . ...

ودَخَلَ التاريخ ، وتَهافَتَ الناسُ عَلَى التعرف به ، والفَوز بلقَائه ...

وصَار ضَيفاً مَطْلُوباً على البرامجِ الإذاعيةِ ، ونجماً لامعاً فى سَمَاءِ الصحَافة ، وشَخصيةٍ بارزة فى المجتمعِ ....

لكنه قَضَى بقيةَ حياته وحيْداً ، لأنه لم يتزوجْ ، عَلَى كَثرة من حَاولنَ التقرُّبَ إليه .

وَكَانَ فى الليالى التى يَسْهرُهَا عَلَى سَطحِ بيته منفرداً ينظرُ طَويلاً إلَى السَّماء فى شَجنٍ ...

وتمرُّ عليه السَّاعاتُ ...

وهو يحدقُ كالمأخوذ متطلعاً إلى بعيدٍ....

بعيد ... حيثُ تركَ الفتاةَ التى لم يحبْ سواهَا .

* * *

إن صَفيَّةَ لم تغبْ فى لجة العَدمِ قط .... لَقَدْ ظلَّتْ باقيةً فى قُلُوبِ المحبينَ إلى الأبدِ ...

واحتفَظَ الفتيةُ بصورِهَا فى مَخادعهم ...

ونَقَشَتْ الفتياتُ اسْمَهَا عَلَى حُليهنَّ ....

واتخذَهَا الجميعُ رمزاً سَامياً للنيلِ والتضحيةِ...

وسَمّاهَا الشُّعَرَاءُ فى قَصَائدِهم " : فَتاةُ الكَوكَبِ الوَرْديِّ " .

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات